



مشكلة الشعب السوري، أو حتى "الشعوب السورية" على الطريقة البوتينية، ليست مع بعضه بعضاً. تعايش عقوداً وقروناً، وما شكا يوماً من كل تلك الأمراض التي ألبسها إياها أو أسقطها عليه نظام الأسد. مشكلته ومصيبة الأساسية بنظام بنى حياته على استراتيجية العداء والمواجهة والكره والاحتقار لهذا الشعب.

ومن الطبيعي، والحال هكذا، أن يبقى هذا النظام ناكراً متنكراً، ورافضاً أن يكون هناك صراع بينه وبين هذا الشعب، فالشعب بنظره لا يمكن أن يكون الند، ليكون هناك أي نزال أو مواجهة؛ فما بالك مفاوضات أو حوار! الشعب بنظره ليس إلا رعاعياً تسبح بحمد قائلها الرمز، الإله الذي لا يمكن لمخلوق سوري أن يرتقي لأي حالة من التنافس معه، أو حتى الاعتبار من قبله. أبناء هذا الشعب لحم أكتافهم من خيره؛ تعلموا في مدارسه؛ هو من منحهم شهاداتهم، وهو من صرف على علمهم وطبابتهم وأكلهم وكسائهم. ولو لاه لما توالدوا وزاد عدهم. من هنا، قال ماهر الأسد، في الشهور الأولى للانتفاضة السورية: "استلمناها ثمانية ملايين نعيدها كما استلمناها". ومن هنا كان تصريح أخي ماهر لصحيفة وول ستريت جيرنال: "في سوريا لا يمكن أن يحصل كما يحصل في بلدان عربية أخرى". ما يعكس كيف ينظر النظام إلى هذا الشعب السوري. استخدم هذا النظام الكيماوي ضد الشعب، ولم ير له جفن؛ شرد نصفه، ولم يعبأ؛ قتل منه تحت التعذيب في معتقلاته الآلاف، وما خشي عقاباً؛ اغتصب إناثه وحتى ذكوره، من دون التفاتة أو وجل.

حتى اللحظة لم يَرَ النظام في أي شخص هتف للحرية، أو قال إن ما يرتكبه النظام بحق سورية وأهلها جريمة، إلا خائناً مرتققاً تشغله إحدى الدول. يطالب ممثله، بشار الجعفري، "مشغلي" المعارضة أن يسحبوا له بيان مؤتمر الرياض.

المعارضة ذاتها التي وضعت البيان؛ بالنسبة له غير موجودة إلا كخونة وعملاء يحرّكهم أصحاب المؤامرة على دولة الصمود والتصديّ التي تقف في وجه إسرائيل. ومعروف مدى حرص إسرائيل علىبقاء منظومة الأسد، لتكون الذريعة المناسبة لاستمرار دمار سورية وألام شعبها.

يعتقد النظام أن من غير الممكن أن يقبل الجلوس مع المعارضة، فهي من الشعب الذي اعتاد التسبيح بنعمته؛ فكيف يمكن أن تكون ندّاً له، أو يسمح لها أن تكون في حضرة مقامه السامي؛ فهذا اعتداءٌ على ذاتٍ لها قداسة. وأهم ما لديها هو السيادة التي لا يمكن لأحد أن يستبيّحها. ومن هنا الوجود الأميركي في الشمال الشرقي السوري غير شرعي، لأنّه لم يأخذ إذن الحكومة "الشرعية". أما الوجود الروسي والإيراني فيبدو أنّهما أخذَا إذناً من الحكومة "الشرعية ذات السيادة"، ولهذا فهو شرعي.

الحوار الوحيد الذي يعترف به النظام، ويمكن أن يجريه، هو "المصالحات". وتمّ هذه بعد أشهر على حصار منطقة وقصفها على مدار الساعة، وجعل أطفالها وشيوخها يموتون جوعاً أو مريضاً، ثم تتم المصالحة مع من تبقى من أهل ذلك المكان. النظام لا يحاور، ولا يفاوض شعبه أو من يعارضه. يرى أن هناك إشكالات بين مختلف المكونات والطوائف، وهذا هي روسيا تدعوها له إلى سوتشي، كي تتحاور مع بعضها بعضاً. وتعود وترجوه كي يغفر لها، ويقبل الاستمرار برعايتها كقطعان. تحتاج تلك النعمة التي أسبغها الله عليها بأن خصّها بتلك القيادة الحكيمـة الملهمـة. ولو لا التدخل الروسي والتّعب الروسي من أجل هذا الحوار بين السوريين، لما قبل أو غفر النظام لتلك الرعية أن تتحاور.

الأكثر من ذلك أنّ النظام قبل من الروس حتى السماح لأعضاء المؤتمر أن يتّنظروا في الدستور، وربما يحدّدوا عهد الرئيس بولياتين جديدين حتى العام 2035؛ إلا إذا أصرّ الشعب أن يمدد له ولايتين جديدين حتى العام 2049. وبالعودة إلى التجربة على مفاوضات النظام أو الحوار معه؛ لا بد أنّ النظام يستغرب أن يُدعى أساساً إلى مفاوضاتٍ مع ثلاثة من العملاء، وهو الذي لا ند له إلا الدول الكبيرة. ألم يقل وزير خارجيته مثلاً إن قارة كاملة يعتبرها ممسوحةً عن الخريطة العالمية؟ فكيف يفاوض أو يحاور، وهو قد طرد الإرهابيين؛ وهو قد صمد في وجه الإرهاب كل هذه السنوات؟ وهو الذي يوقع معاهدات مع دولة عظمى؟ وهو الذي يمتلك ترساناتٍ من مختلف صنوف الأسلحة؟

لماذا يفاوض النظام، وهو يعتبر نفسه انتصار، بغض النظر بما هي حقيقة هذا الانتصار؛ فكيف يكون انتصاراً على إرهابٍ هو ساهم بوجوده؛ وتحديداً "داعش"؟ كيف يفاوض وبظهـره قوتـا إـیرـان وـروسـيا؛ ومن يـدـعونـ أنـهـمـ مـعـارـضـةـ أوـ ثـورـةـ لـيـسـواـ إـلـاـ مـرـتـزـقـةـ؟ يـكـفيـهـ أـنـ يـسـمحـ لـأـلـفـ وـخـمـسـمـائـةـ شـخـصـ لـيـبارـكـواـ لـهـ اـنـتـصـارـاتـ، وـيـبارـكـواـ هـذـهـ العـودـةـ الـحـمـيدـةـ، بـعـدـ كـلـ تـلـكـ إـلـنجـازـاتـ فـيـ وجـهـ المـؤـامـرـةـ... لـمـاـذاـ يـفـاـوضـ، وـدـاعـمـوـ المـعـارـضـةـ سـكـينـ بـظـهـرـهـ.

من هنا لا بد من التمسك بالقرارات الدوليـةـ، ولا بد أن توضع موضع التنفيذ في انتقال سيـاسيـ، يـعـيدـ السـوـرـيـينـ إـلـىـ بـيـوـتـهـمـ متـظـهـرـينـ منـ سـمـومـ منـظـوـمـةـ الـاسـتـبـدـادـ. بإـرـادـةـ هـذـاـ النـظـامـ، وـبـإـرـادـةـ دـاعـمـيهـ، لـنـ تـكـونـ هـنـاكـ فـرـصـةـ لـسـلـامـ حـقـيقـيـ، عـبـرـ اـنـتـقـالـ سيـاسـيـ يـخـلـصـ سـوـرـيـةـ مـنـ التـوـرـ وـالـاسـتـبـدـادـ وـالـجـرـيمـةـ. وإنـ لمـ يـحـدـثـ ذـلـكـ، لاـ بدـ مـنـ اـسـتـصـارـ قـرـارـ دـوليـ تـحـتـ الفـصـلـ السـابـعـ، يـرـيـحـ سـوـرـيـةـ وـالـمـنـطـقـةـ وـالـعـالـمـ مـنـ وـبـإـقـلـ قـلـ نـظـيرـهـ. وهذا مـمـكـنـ، وـرـوـسـياـ لـنـ تـمـكـنـ مـنـ عـرـقـلـةـ ذـلـكـ، وـالـاسـتـمـرـارـ بـحـمـاـيـةـ الـجـرـيمـةـ باـسـتـخـدـامـ حـقـ النـقضـ (ـالـفـيـقـ). السـؤـالـ؛ كـيـفـ يـمـكـنـ أـنـ يـحـدـثـ ذـلـكـ؟

تقول المادة 27 من ميثاق الأمم المتحدة، والتي تنظم عملية التصويت في مجلس الأمن: لكل عضو من أعضاء مجلس الأمن صوت واحد. تصدر قرارات مجلس الأمن في المسائل الإجرائية بموافقة تسعه من أعضائه. تصدر قرارات مجلس الأمن في المسائل الأخرى كافة، بموافقة أصوات تسعه من أعضائه يكون منها أصوات الأعضاء الدائمين متفقة، بشرط أنه في القرارات المتخذة تطبيقاً لأحكام الفصل السادس.

وتقول المادة الثالثة من المادة 52: "يمنع من كان طرفاً في النزاع عن التصويت". وهنا لا بد من وضع اسم روسيا في الشكاوى المقدمة على النظام في مجلس الأمن شريكاً مع النظام؛ حيث لا يحق لها التصويت باعتبارها شريكة؛ وبذا يتم توقيّي استخدامها "الفيتو". ولسنا الوحديين في القول إنها شريك؛ بل لا ينفك النظام ذاته وممثلوه عن قول ذلك تكراراً، وحتى التبااهي به؛ وروسيا ذاتها ما اعترضت يوماً؛ هذا إضافة إلى اتفاقيات الشراكة بين روسيا الاتحادية وحكومة الأسد. وتجلت تلك الشراكة، طبعاً بعد كل ما فعلت روسيا من أجل سلطة الأسد، في تصريح مبعوث الرئيس الروسي الخاص إلى سوريا، ألكسندر لافورنتيف، بشأن مؤتمر بلاده في سوتشي، أن من يريد مناقشة رئيس سوريا لا مكان له في هذا المؤتمر. روسيا شريك لنظام الأسد في كل شيء. لا بد للأمم المتحدة أن تطبق قراراتها؛ وخصوصاً المواد التي يتم التغافل عنها حتى الآن، بحسن نية أم بسوء نية. لا بد لسوريا أن تعود آمنة، لكي يعود أهلها إليها آمنين.

المصادر:

العربي الجديد